يـــــوم الهجرة

إن يوم الهجرة فى سيرة الإسلام خاصة ، وفى تاريخ البشرية عامة يبدو كالعنوان للكتاب ، بل كالمفتاح للباب ، فقد كان إيذانا بفتح جديد ونصر مجيد ، ونقطة تحول فى اتجاه الإنسانية نحو الحق والنور ، وجاءت تتائجه القريبة والبعيدة مؤكدة أن الله قد جعل هذا اليوم الجليل الخالد منفذاً إلى بركاته التى جلاها على الإسلام والمسلمين فيما بعد ، حين صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وحين حقق لرسوله الكريم عليه الصلاة والتسليم أمره : « وقل ربى أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » .

وإن الأحداث العالمية الجلى لتمر متتابعة ، لها وميضها وزلزالها ، ما بين حديث وقديم ، ومسعد وأليم ، وجائر وقويم ، ثم تخبو أو تنطفىء ويظل حادث الهجرة على الدهر خالدا ، وبين الأحداث علما ماجدا ، وكلما لاح الهلال الوليد فى فاتحة العام الجديد انبعثت ذكرى الهجرة قوية عاطرة ، كأنها وقعت بالأمس القريب ، وكأنها لم تقطع فى أعماق التاريخ مئات السنين ، ولعل سرا خفيا من أسرار العلى القدير يعمر أرجاء هذه الذكرى على الدوام ، ليجعلها باعثا يحفز المسلمين إلى مواصلة المجهود ، والإيفاء بالعهود والاستقامة على صراط العزيز الحميد .

ولقد انطوت الهجرة بمقدماتها وخطواتها على دروس تعلم وتقوم ، وترشد وتسدد ، وفيها عظة وبلاغ لقوم يعقلون وفيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فقد علمتنا الهجرة أن صاحب المبدأ إذا ضاق بالبيئة ، ولم يجد فيها عوامل الخصب والإنبات ، ولم يلح منها نور الأمل والرجاء تحول عنها مؤقتا إلى سواها ، حيث يجد المتنفس لدعوته ، والاستجابة لشرعته ، والنجاة بعقيدته ، وهو فى الوقت نفسه لاينسى الموطن الأصلى ، ولا البيئة الأولى ، بل يلتمس الأسباب ويرقب يوم الإياب ، حتى إذا ماصلحت الظروف للعودة عاد هاديا راشدا ، لاغاضبا منتقما ، ومن هنا رأينا محمدا صلوات الله عليه ينظر إلى مكة حين خروجه منها مهاجرا ، ويقول متأثراً : « والله أنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على الله تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت » ويحول الله قبلته إلى بيت المقدس لحكمة يعلمها ، فيظل الرسول متذكرا مكة والكعبة ، مقلبا وجهه فى السماء راجيا أن يوليه الله قبلة يرضاها ، وما إن ينزل قرآن بتحويل القبلة إلى الكعبة حتى يسارع الرسول بالتحول إليها قبل أن يتم صلاته فى المسجد فى القبلتين ، وما إن تلوح أول فرصة لفتح مكة حتى يعود إليها عودة المصلح الصافح ، لاعودة الحقود الثائر وكذلك شأن النبوة فى جمالها وكمالها : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤف رحيم » .

وعلمتنا الهجرة أن الصديق المساعد إذا أخلص فى صداقته وتطهر من الأغراض والأمراض فى مؤازرته ، كان على الأحداث خير معوان ، وكان فى الشدائد أكرم إنسان ، فهذا أبو بكر وزير سيد الأنبياء ، يضرب المثل العليا فى الوفاء لرسوله وقائده ، فيشترى الدابتين لرحلة الهجرة سرا ، ويعد ابن أريقط ليكون لهما دليلا ، ثم يبكى من الفرح حين ينبئه الرسول بأنه سيكون رفيقه فى هجرته ، ثم يأخذ ماله كله معه ويترك بيته وفيه بنات صغيرات كعائشة وأسماء ، وله والد شيخ ضعيف هو أبو قحافة ، ثم يترك وطنه الغالى ليخرج إلى رحلة لايدرى مداها ولا منتهاها ، ثم يجند ابنه عبد الله ليحمل الأنباء إليهما وهما فى الغار . وبنته أسماء لتحمل الطعام ، ومولاه عامر بن فهيرة ليسقيهما لبن قطيعة من الغنم ، ثم يحمل الرسول على كتفيه حين أحس بالألم فى قدميه ، ثم يتقدمه أثناء السير تارة خوف الرصد ، ويتأخر عنه تارة خوف الطلب ، يريد ليفديه بنفسه ، ويستبرىء الغار له قبل دخوله ، فإن كان فيه أذى أصابه بدل الرسول ، ثم يبلغ به الخوف على الرسول مبلغه وقد وقف المشركون بباب الغار ، فيثبت الرسول فؤاده قائلا . لاتحزن إن الله معنا .

ثم يسأله الناس فى الطريق . من هذا يا أبا بكر ؟ . فيحتال فى الإجابة قائلا . هذا هاد يهدينى الطريق . فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق فى الأرض ، بينما هو يعنى سبيل الخير وطريق الهدى . وكذلك يكون صـــدق الوفاء فى الإخاء ! .

وعلمتنا الهجرة أن المرأة المؤمنة تستطيع أن تسهم بنصيبها

فى نصرة دينها ونبيها ، ويمكنها أن تشارك عند الضرورة بمجهودها للصالح العام ، دون أن تشط أو تسرف ، فهذه عائشة تشهد نجويات الرسول مع أبى بكر فى بيته وتحفظ سرهما ، وهذه أسماء تحمل الزاد إلى نزيلى الغار ، وهذه كوكبة من بنات الأنصار يستقبلن الرسول بالأغاريد والأناشيد ، وفى سبيل الله هانت على المرأة المؤمنة أزمات ، حدثت أسماء بنت أبى بكر فقالت . « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر فقالوا . أين أبوك يابنت أبى بكر ؟ . فقلت : لاأدرى والله أين أبى. فرفع أبو جهل لعنه الله يده — وكان فاحشا خبيثا — فلطم خدى لطمة ، فطرح منها قرطى » .

وعلمتنا الهجرة أن القائد إذا كان عبقريا موهوبا استطاع أن يؤثر فى اتباعه ، وأن يبهر جموع أنصاره ، فيخضعهم بسلطانهم الروحى ، ويجمع أعنتهم فى زمامه العاطفى ، فكانهم مسخرون فى يديه بقوة عجيبة رهيبة ، يأمرهم فيأتمرون ، ويشير لهم فيستجيبون ، فى صمت وخضوع ، وإنكار للذات مع خشوع ، ولما لا وقد قامت لديهم الدلائل والبراهين على صدق هاديهم ، وعبقرية قائدهم ، وإخلاص زائدهم ؟ .

ومن هنا نرى حادث الهجرة هو امتحان رهيب عصيب لفريق المؤمنين والمشركين على السواء ، يشير به الرسول ويدعو إليه فيلبيه الكبار والصغار ، ويعمل له الجميع بالليل والنهار ، حتى يتم على أكمل وجه مطلوب . وإنه لمن صميم العجب أن يضع الرسول خطة هجرته وراء ستار ، ويعلم بهذه الخطة بعض الكبار كأبى بكر ، وبعض الشباب كعلى وعبد الله ابن أبى بكر ، وبعض الفتيات كعائشة وأسماء وبعض الموالى كعامر بن فهيرة ، بل وبعض المشركين كعبد الله ابن أريقط الليثى ، ثم تظل الخطة مكتومة غير معلومة ، لاينشى لها سر ، ولا يظهر لها أمر ، ولايدرى أحد من الأعداء أين توجه الرسول وصاحبه ، مع أن العرب اجتمعت على البحث عنه ، ورصدت الجائزة الكبرى لمن يأتى به حيا أو ميتا وهى مائة ناقة من خيرة النياق ، وهناك الفضول وحب الاستطلاع وكشف المجهول مما يغرى الفتيان والفرسان والشبان بتتبع آثار الرسول .

نعم إنها يد الله القوية القهارة التى تغنى عن الحصون والجيوش الجرارة ؛ وإنها شخصية الرسول الأمين ، سمت وعلت حتى ألقت ظلالها على من حولها فهدت المؤمنين ، وبهرت المشركين .

كأنه وهو فرد من جلالته
فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

حقا ما أكثر الآيات التى نتعلمها من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن خير العلم ما وافقه العمل ، وإن أخسر الناس صفقة من ساق إليه ربه فى دينه أو دنياه علما فازداد به تاهية أو ضلالا ، وفى الهجرة مافيها من حوافز المجد والوثوب ، والثبات للزلازل والخطوب ، فهل آن الأوان لأمة محمد كى تنفض عن أجفانها آثار الوسن ، وتزهق بإقدامها روح الوهن ، وتحقق مجدها وعزها فى هذا الزمن؟

ياأتباع محمد ، إنها لعنة القدر وسبة الأبد ، إن ضاع على أيديكم تراث محمد . .

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

فى المريخ

كائنات حيـــة

من الأمور المحتملة جداً ذلك الرأى القائل إن أحوال المريخ كانت منذ عصور طوال ملائمة لوجود نوع من النبات والحشرات الشبيهة بعض الشىء بنباتات الأرض وحشراتها . وربما كان ماحدث هو أنه حين اختفى «الأكسجين» وبخار الماء من جو المريخ لم تستطع هذه الكائنات الحية أن تتطور إلى الرقى فتكون لها « أمخاخ » مثلا كما حدث للكائنات الحية على الأرض بل ظلت غاية فى البساطة فرادى ومعقدة جداً كمجموعة .

وقد صور « أولاف ستابلدون » المريخ على هذه الصورة تصويراً بديعاً فقال : إن هذه الأحياء تكون سحباً صغيرة كل قطرة منها تتلقى أو تصدر الإشارات التوجيهية كالجهاز العصبى فى الحيوانات التى تعيش على الأرض .

ووصف أول غارة من المريخ على الأرض بوصول سحابة خضراء ، وهى نوع من الدخان أو البخار الذى يمكن أن يتكاثف بفعل الضغط فيصير مادة هلامية .